



كاريكاتور

رجال النهضة الأوائل ومسألة الحريات!

عدد التقييمات 0 : 0

تعليقات

2009/5/8

أصاب رواد النهضة العرب وأحسنوا، عندما فسروا الحرية في الغرب، وقابلوها بالعربية - استثناسا بلغة الليبرالية الشائعة في فرنسا، والدائرة على كل لسان- فأروها تعني العدل والإنصاف، وأشادوا بأهميتها وضرورتها، ومنهم من انتبه إلى جذورها النظرية في مبادئ الإسلام، كما أوضحوا أن السير في طريق التنمية والتطور، واكتساب المعرفة، يقتضي بالضرورة وجود أحزاب وتنظيمات مؤسسية على دعامة الحرية.

فبالحرية، حسب رأي هؤلاء، يتحقق العدل والسعادة، وتؤثر إيجابيا في حماية الإنسان للذود عن الأوطان، لهذا جاء فيهم من يقول: إن الأمة التي يفتقد شعبها الحرية، الأمة التي لا تأبه لشعبها، ولا يؤخذ برأيه، مثل هذه الأمة لا بد أن يعترها الخلل والاعتلال، وهي بالتالي أيلة إلى السقوط حتما؛ هذا ما نادى به جمال الدين الأفغاني (1838-1897): "عليكم أن تخضعوا لسلطة العدل، فالعدل أساس الكون، وبه قوامه، ولا نجاح لقوم يزدرون العدل بينهم".

والعدل هو الحرية والديمقراطية بلغة السياسة اليوم، ومنهم من كان يرى في التمدن والمعرفة شرطين لقيام الحكومة الديمقراطية، وكان يرى أن الحرية عدل، والعدل واجب، والحرية هي التي تنتج العدل.

نظر هؤلاء الرواد، وفي مقدمتهم رفاة الطهطاوي (1801-1873) إلى الواقع العربي المعيش، ثم قارنوها بالواقع الغربي المتقدم، فأروا اليون شاسعا، لذلك تحفزوا في نضالهم لأمرين اثنين هما: التغيير والتطوير، أي تغيير الواقع العربي المعيش، والتقدم نحو نموذج أفضل، في ظل واقع جديد يتمتع ناسه بالحرية والعدالة، فكان لا بد، إذن، من التصدي للواقع المزري كضرورة للتغيير. فالتغيير في الواقع السياسي هو السبيل لولوج واقع حضاري جديد.

مضى هؤلاء الرواد شوطا إلى أمام، فراحوا ينشدون حكومة فيها الحاكم يتقلد المنصب لإدارة الدولة ورعاية المجتمع بموجب قوانين وسبل شرعية، فأروا أن الحاكم الذي يأتي بإرادة أناس أحرار، خير من حاكم يمثل لإرادته الناس كعبيد منقادين، فعندما ينتق الحاكم من بين صفوف الأحرار، فهؤلاء الأحرار سيعمون بمناصف الدولة، وسيكونون بالتالي عونا للحاكم وسياسا للوطن، كما أن الحاكم بدوره سيدرا عن شعبه المفاسد، وسيعمل على جلب المنافع له. فالحاكم بتقافة هؤلاء، لا يجوز أن يكون مالكا للشعب، بل يكون راعيا عليهم، ضامنا لمعيشتهم الكريمة بعيدا عن العوز وذلة الحاجة.

مسألة أخرى ركز عليها رجال النهضة وهي حرية التملك، فهم كانوا فيما يقصدونه من الحرية السياسية هو التأمين على أملاك الفرد، وحق حرية التصرف فيما يملكه، ومنها أيضا حرية الفلاحة والتجارة والصناعة) كما دعوا إلى حرية الملاحة والسباحة.

كما كان لا بد أيضا من التطوير في التصورات الدينية، ومن حق الدارسين الاجتهاد في النصوص الدينية، وظهر من تجرا بينهم عندما طالبوا بالحرية الدينية، وقصدوا هنا بالحرية، حرية الاجتهاد، كما دعوا إلى نبذ التعصب الديني للإضرار بسواهم، واعتبروا ذلك ضرا من العصية.

وإذا استحضرنا ذهني ذلك الواقع المؤطر بإسار الدين أدركنا كم هي خريئة زمتيا دعوات الاجتهاد في نصوص الدين، حيث كان العرف السائد أن العامة يمثلون لراي السلف الذي يحذر الإتياع، من دون المجازفة في البحث، فالجريء بينهم طالب بالعودة إلى مبادئ الدين الحنيف في صفاته، كما فعل علي عبد الزواق في مؤلفه (الإسلام وأصول الحكم). لهذا كان كثيرا ما يتنرم المحافظون بفحوى هذا البيت:

وكل خير في اتباع من سلف وكل شر في ابتداء من خلف

كما أكدوا أيضا على أحد مبادئ الحرية وهو المساواة، فلا حرية عندهم من دون مساواة، فالمساواة هي الوجه الآخر للحرية، كما أن المساواة في الحقوق، ملزمة في الوقت ذاته للمساواة في الواجبات، كما ركز هؤلاء على حرية الطباعة، أي حرية الرأي والنشر.

كانت الحساسية لدى هؤلاء الرواد قوية تجاه الاستبداد، تجاه ظلم الحاكمين، وكانوا يرون أن الظلم هو دبير الحكم المطلق، لهذا نددوا بالاستبداد، وأروا في دولة الاستبداد، كيف أن الكل مستبد، الكبير وأيضا الصغير، أي كل من يعمل في سلك الدولة، بحسب موقعه في الدولة، ودرجة مرتبته، ويرى خير الدين التونسي 1812-1889 في حال غياب الحرية في أية دولة، تفقد تلك الدولة الاستقرار، ويغيب عنها الغنى، ويستبد بأهلها الفقر، وتؤثر بالتالي على معنويات البشر، وكانوا كثيرا ما يعنون بالحرية، رفض الاستبداد، فالحرية تعطي الشعب الحق والقدرة معا لخلق الحاكم المستبد، لأن الحكم هو الأساس للشعب فلماذا الاستبداد من فرد إذن؟

وعندما كان رفاة الطهطاوي يستعرض الاستبداد لدى الغرب وفي فرنسا بالتجديد حيث نهل علمه، كان يذكر الناس، بأنه كيف تمت الإطاحة بالملك (لويس العاشر) عندما استبد في حكمه، وهنا إشارة خفية ربما إلى محمد علي باشا والي مصر، الحاكم الأوح من دون منازع، وبالتالي تحريض الناس ضد الاستبداد. ومن نافلة القول هنا التذكير: هل كان لمثل هذه الصيحات أثر في نفوس العامة، وما رد فعل الحاكم إزاء مفهوم الحريات؟

كان غالبية الرواد منفتحين على الثقافة الغربية، حتى أن الشاب المتميز أديب اسحق 1856 - 1885 طالب بتدريس تاريخ فرنسا في المدارس، كونها مؤنل الحريات، وهي بلد ثورة 1789 بشعاراتها (الحرية الإخاء المساواة). وبغية حفز الهمم كان يلجأ إلى المقارنة بين مصر وفرنسا، حيث هناك حرية العمل والكتابة والنشر والتنقل، وحرية الملكية، حرية

الصفحة الرئيسية

- الفد الأردني
- العرب والعالم
- سوق ومال
- التحدي
- حياتنا
- ثقافة
- جدل
- كون
- سياسات
- المنتدى
- رسائل الى المحرر
- مسؤولون ضد
- الشفافية
- زواريب
- تحت المحجر
- صورة فلمية
- دين وحضارة
- أفكار ومواقف
- فضا
- صحافة عربية
- صحافة عبرية
- علوم و تكنولوجيا
- ملحاحات السيارات
- كاريكاتور
- وفيات



إشترك الآن



خدمة RSS

شوف في رأي النيلة

أرشيف

كما كان يطالب بإصلاح القضاء، وطالب بالاستفادة من التكنولوجيا الغربية، ولكنها ما ضاق أديب اسحق بالاستبداد قام بالتهجم على كل مستبد عبر التاريخ، فهاجم الإسكندر المقدوني، وقيصر روما، وحنكيخان المغولي.

هذا الجهد من الدعوة إلى الحرية، كان قبل أكثر من مئة وخمسين سنة، إذا أخذنا رفاة الطهطاوي كبداية لهذه الدعوة، مع أخذ السياق التاريخي في الحسبان، أدركنا كم نحن ما نزال متخلفين عن الركب الحضاري، وكم نحن متقاعدون في نضالنا في سبيل قيمة القيم، أعني بها الحرية..!

* كاتب سوري

خاص بـ"الغد" بالتنسيق مع مشروع منبر الحرية www.minbaralhurriyya.org

دهام حسن



Maintained by dot.jo

□ إتصل بنا □ بريد القراء □ الدخول

جميع حقوق المؤلف والنشر محفوظة لجريدة www.alghd.com © 2009 (شروط استخدام الموقع)